وللمدن اساطيرها

كيف تحول بستان عواشة..الى أجمل حي سكني في العمارة؟

ميسان / محمد الحمراني

الكثير من الاماكن التي نحبها ونعيش فيها تخفي خلفها قصصا غريبة وتكشف لنا على نحو غير متوقع اننا نحيا وسط عالم من الحكايات تتقاطع فيها الاخبار والحوادث التي تعطي بعداً تاريخياً للأمكنة ومن الاماكن التي تحاك حولها الحكايات الغريبة في العمارة بستان عواشة الذي تحول الى اجمل حي سكني في المدينة. ولكن ما قصة البستان؟ وكيف تحول بغضون سنوات قليلة الى مكان لجذب العوائل الراقية؟ هذا ما نريد التعرف عليه.

تاريخ البستان السري

في الثلاثينيات والأربعينيات كانت مدينة العمارة تنقسم الى قسمين..قسم يضم المسلمين العراقيين يسكنون في محلتي السرية والسراي والقسم الاخر يتكون من الاقليات اليهودية و المسيحية فضلا عن الايرانية والتركية ويسكنون في محلتي الصابونجية والجديدة وكان القسم الاول هو الوحيد المشمول باداء الخدمة الالزامية اثناء العهد العثماني ما جعل الكثير من العوائل العراقية التي ترغب في عدم دخول اولادها الى الجيش العثماني الانتقال الى القسم الذي يضم الاقليات. وكان يفصل بين القسمين سوق العمارة الكبير. ولكن العوائل الهاربة بأولادها من الخدمة الالزامية بدأت تكثر مما اثار سخط العثمانيين فقاموا بتمليك العديد من البساتين الموجودة في هذا القسم الى عوائل عثمانية شهيرة ومنها عائلة الحاجة (عائشة) التي كانت متنفذة ايام الاحتلال العثماني فوضعت حول بستانها سوراً لمنع مرور الناس والاستجمام في اوقات الراحة واصبح محمية ادت الى الحد من التجاوز عليها من قبل الفلاحين واسهمت في توقف هجرة العوائل العراقية الى هذا الجزء من مدينة العمارة. اشتغل في هذا البستان الكثير من الفلاحين الذين اسهموا في اعادة الحياة اليه وكان ذلك قبل سقوط الدولة العثمانية في العراق بعشر سنوات ، وزرع البستان بأشجار الرمان والتين والعنب وسط غابات النخيل الكثيرة والتي كانت تقدر بخمسة الاف نخلة..يقول (حمدي جري) الذي عاش طفولته قرب هذا البستان انه كان يأتي صغيراً قرب سياج البستان ويسرق الرمان والعنب اللذين تختلط اشجارهما باشجار النخيل واضاف ان هذا البستان لم يكن يدخله الا المتنفذون في مدينة العمارة فهو يحاذي نهر دجلة مما اضاف ميزة جمالية له. كانت الحاجة (عائشة) تبيع محاصيل هذا البستان في سوق خضراوات العمارة ويشرف على ذلك عمال مختصون فضلاً عن اكثر من عشرة حراس كانوا يحملون اسلحة مرخصة من قبل الحكومة. اما بخصوص التسمية فقال (جري) ان السكان يستصعبون لفظ اسم الحاجة عائشة وبدأوا يطلقون عليها تسمية (عواشة) وسرعان ما عاشت هذه التسمية لسهولتها ولقربها من اسماء نساء العمارة آنذاك.

قصور الاحلام

بعد سقوط الدولة العثمانية في العراق قل نفوذ الحاجة (عائشة) التي اصبحت كبيرة في السن ، كما ان البريطانيين دعموا الاقطاعيين الجدد ولمرور الحاجة عائشة بضائقة مادية بدأت تبيع قطعاً كبيرة من البستان تبنى قصوراً ولكن يبقى محصول الاشجار لها. في تلك الفترة ترك العديد من الفلاحين البستان وبدأ الاهمال يتناول اشجاره. وشيئاً فشيئاً بيعت سبع مساحات في وسط البستان بنيت عليها سبعة قصور لشيوخ عشائر كبار ثم انهار جزء كبير من السياج الخارجي، وافتتحت طرق ترابية تؤدي الى القصور مما جعل اهالي العمارة يطلقون تسمية جديدة على البستان وهي (سبع قصور) وكانت اغلب هذه القصور قد بنيت من قبل شركات المانية وبطراز معماري اوربي، ومنها قصر الشيخ محمد العريبي وقصر الشيخ مجيد الخليفة، اليوم لم يبق من هذه القصور الاقصر واحد بعد ان هدم النظام المباد اشهر قصر في العمارة هو قصر الشيخ محمد العريبي ولو عدنا الى الحاجة (عائشة) نجد ان غموضاً كبيراً التف حول مصيرها ولكن ما اشيع ان قانون الاصلاح الزراعي تكفل بإعادة توزيع الملكيات الزراعية بعد مرحلة جديدة من تاريخ العراق قضت على المقاطعات الزراعية واعطت حرية الاستئجار والبيع بين الفلاحين وهذا الافق من الحرية لا يتلاءم مع اصحاب الاقطاعيات القديمة..قيل ان الحاجة (عائشة) باعت بستانها على شكل اجزاء وبأسعار عالية في ذلك الزمن لتختفي وهي في اعوامها الاخيرة تاركة خلفها مدينة تتشكل.

تحول دراماي

الاشخاص الذين اشتروا البستان كان اغلبهم من اصحاب النفوذ ووجدوا في بناء بيوت كبيرة لهم ميزة تضاف الى حيهم فلم يسعوا الى قطع النخيل واشجار التين والعنب والرمان ولكن جعلوها جزءاً من بيوتهم واخذوا يعتنون بهذه الاشجار وسعوا الى اضفاء الجمالية على هذا البستان ثم سمي الحي بـ (حي عواشة). واستمر الحال على ما هو عليه حتى بداية الثمانينيات حين اندلعت الحرب العراقية-الايرانية، فاتهمت السلطة الكثير من العوائل التي تسكن بهذا الحي كله باسم (التبعية الايرانية) وكانت هذه الفترة اسوأ فترة في تاريخ هذا الحي ، اذ هجرت منه العديد من العوائل العراقية بتلك التهمة وصودرت بيوتهم الكبيرة لتصبح مقرات للاستخبارات العسكرية وللامن والانضباط العسكري وبدأت ممارسة ضغوط نفسية على عوائل اخرى باتهامها بالتبعية التركية، وهذا مما جعل العديد من هؤلاء الاشخاص يتركون منازلهم ويهربون في الخفاء او يبيعونها بأسعار رخيصة واستحوذ على هذه البيوت العديد من المسؤولين في حزب البعث وضباط كبار في الامن والجيش، حتى اصبح اهالي العمارة عندما يتخاصمون مع شخص يقولون له (خو الاخو مومن عواشة) واذا قال لهم من عواشة يتركونه في سبيل حاله...لانه حتماً سيوصلهم الى خلف القضبان.

لقطات اخيرة

بعد سقوط الحكومة المبادة واختفاء الغاز والنفط هجمت جموع من اهالي مدينة العمارة على اكبر غابة اشجار يوكالبتوز كانت تحاذي نهر دجلة الذاهب الى البصرة مستخدمة اياها وقوداً ، يتراوح عدد سكان حي عواشة الان خمسة الاف عائلة ولم تعد غالبيتهم طبقة واحدة ولكن في الفترة الاخيرة تغيرت جغرافية الحي حيث شملت احياء اخرى محاذية له.

عوائل كثيرة عادت من التسفير وحصلت على بيوتها القديمة ولكن احدهم قال لي إن حكومة صدام اهملت حي عواشة بصورة كبيرة فالشوارع بحاجة الى تبليط والدوائر الحكومية وسط المنازل السكنية ولكنه قال انها دارنا التي احبها ابي وامي وماتا بسبب فراقها.

تحت الضوء

ببناء الإنسان تتحقق اعادة الاعمار

عامر القيسي

ما اكثر الحديث عن الاعمار واعادة الاعمار صحافة واعلاماً ومسؤولين وبنكاً دولياً ودولاً مانحة...الخ من التسميات التي لم نعد نحفظ عناوينها لكثرتها وتنوعها وتداخلها بين الخارجي والداخلي. فهنا بناء اكبر محطة لتصفية المياه في الشرق الاوسط، وهناك محطة اكبر للكهرباء ، وفي تلك المحافظة اعادة بناء البنى التحتية ، وفي هذه الوزارة ترميم البنايات والمدارس ووو....ولكننا لم نسمع مثل هذا الكلام عن اعادة بناء الإنسان العراقي، الانسان الذي هو وسيلة هذه العملية برمتها وهدفها ايضاً. ويبرز امامنا السؤال الآتي:

كيف تستطيع أي حكومة ان تقوم بإعادة اعمار بلد مخرب مثل العراق من دون اداة صالحة وقوية لانشاء هذا البناء؟ واذا بسطنا الامر نسأل: هل نستطيع ان نبني داراً بمهندس غير كفء يتلاعب بنسب مواد البناء، وعمال كسولين ومقاول يسرق مما يبني؟ لا يحتاج الجواب الى كثير تأمل، فمثل هذه الدار لن تصمد كثيرا امام العوامل الجوية المتنوعة وستظهر عيوبها بعد زمن قليل، وستضطر في النهاية الى ان ترمم والترميم سيقوم على القاعدة نفسها السابقة عندها سنضطر الى ان نهدم هذه الدار ونعيد بناءها واذا حصل البناء الثاني على القاعدة الاولى نفسها، فهذا يعني أننا ندور في حلقة مفرغة فيها مضيعة للوقت الذي يقال بانه كالسيف ان لم تقطعه يقطعك ! ومضيعة للأموال التي تأتي بشق الأنفس. واذا افترضنا اننا استطعنا ان نؤمن الاداة الفنية لاعادة الاعمار -افتراضاً ، فماذا بشأن الشق الثاني من هذه العملية وهو الجهاز الاداري الذي يغرق في بحيرة من الامراض المتنوعة من عدم الكفاءة والفساد الاداري والمالي مروراً بالتضخم الوظيفي وتداخل المهام وغياب التنسيق بين مختلف القطاعات...الخ.

نتحدث كثيراً عن اعادة الاعمار وقليلاً عن بناء الانسان أي بعبارة ادق عن اخطر واهم شق في عملية البناء الذي لا نوليه العناية الكافية. نحن ندرك ان الامراض التي نتحدث عنها ليست وليدة اللحظة، ولكنها بدأت تترسخ باستمرار وتولد امراضاً غيرها. وندرك ايضاً اننا لا نستطيع ان نأتي بانسان آخر من كوكب زحل او عطارد لنزجه في عملية الاعمار الضخمة القادمة في المستقبل. ولا ادري ان كنا ندرك بإننا لا نقوم بما ينبغي لصناعة هذا الانسان الذي سيبني لنا عراقاً مختلفاً ، نظرة بسيطة تؤكد لنا ان معظم المشاريع التي تم تنفيذها لم ترتق الى مستويات ما نطمح اليه. خذ مثلاً المدارس شبكات الكهرباء، شبكات الصرف الصحي، تاهيل الممارسات العلمية ...الخ والسبب بكل بساطة ان الانسان الذي يقوم بكل ذلك يحتاج هو نفسه الى اعادة بناء!

خلاصة،اذا كنا نرغب حقاً في ان نعيد اعمار بلدنا على اسس علمية وعملية صحيحة وليس اعماراً ترقيعياً ينهار بعد فترة قصيرة علينا ان نبدأ من القاعدة، من رياض الاطفال ، ادارات، مربيات، ومناهج صعوداً الى اساليب ومناهج التعليم الجامعي والدراسات العليا نظرياً وعملياً.

واذا ما كانت هذه البداية ذات طابع استراتيجي بعيد الامد فان ايجاد سبل جدية وتطبيق فعاليات مبدعة غير تقليدية لتأهيل المتوفر من القدرة البشرية لدينا. يمكن ان تقدم لنا حلاً تكتيكياً لمسألة بناء الانسان الذي ستقوم على أكتافه مشاريع الاعمار.

لا يعتقد البعض اننا نكون فكرة بالغة السوداوية عن مثل هذا الوضع لان واقعنا يتوافر فيه الكثير من مميزات العنصر الانساني القادر على تحمل اعباء الاعمار الجديد، ويمكن الاعتماد عليه ايضاً في خلق نموذجي للانسان الجديد.

نموذج لظاهرة تحدث في كل مكان

الازمـــات الخانقـــة تلـــد اسواقـــاً!

الموصل / مكتب المدى / رعد الجماس

أفرزت تداعيات الأحداث الأخيرة التي شهدتها مدينة الموصل كفرض حظر التجوال وقطع الجسور الواصلة بين جانبي المدينة وإغلاق المحال والدكاكين لأبوابها وخلو الطرقات الرئيسية من عابري السبيل والباعة ، بروز بعض الظواهر في أجزاء محددة من المدينة ، ومنها سوق شعبية جديدة لبيع الخضراوات والفواكه بأنواعها افترشت ارض وملحقات شارع الحي الزراعي الذي يعد الأحدث في الموصل وبسابقة لم يشهدها أهل الحي والمدينة معاً ، وقد لاقت هذه السوق التي نشأت من دون موافقة الجهات الرسمية استحسان بعض المستفيدين فيما رفضها آخرون تحت عدة ذرائع .. عن أسباب نشوء السوق ومدى تأثير ذلك على المواطنين بالسلب والإيجاب كان لـ(المدى) هذا التحقيق ...

أسباب نشوء السوق ...

ازدحم الشارع الفسيح الذي شق حديثاً في الحي الأنيق بالعديد من البسطيات والعربات المختلفة الأحجام والأشكال التي اتخذت أماكنها في جزراته الوسطية وعلى أرصفته وأرضه لتترك مساراً ضيقاً منه يسمح بمرور سيارة واحدة فقط ، فيما شق هدوؤه وسكونه تعالي أصوات الباعة وهم ينادون على بضاعتهم المطروحة من فاكهة وخضار ..

(محمد إبراهيم عبد) احد الباعة الذين افترشوا الأرض بصناديقهم المملوءة بالثمار والمنتجات الزراعية الطازجة قال عن أسباب وجوده وبقية الباعة في هذا المكان :

-هذه السوق البديل الذي أنشأته ظروف المدينة الأمنية غير المستقرة ، بضاعتنا من الخضرة التي تكدست وتلف بعضها لعدم استطاعتنا العبور إلى الضفة الأخرى من النهر والذهاب إلى أسواق واماكن وقوفنا اليومية المعتادة نتيجة إغلاق الجسور الخمسة التي تربط الضفتين بسبب الاشتباكات المسلحة المتكررة ، وهذا هو السبب الرئيسي الذي اضطرنا إلى التجمع في هذا المكان لأهمية موقعه ما بين الأحياء السكنية العديدة في الساحل الأيسر من الموصل ،ووجود الشوارع الرئيسة ولاسيما الجسر الخامس بالقرب منه ، وكذلك اتساع المساحات والرقع الأرضية الفارغة في شارعه والتي سمحت بإيقاف وأشغال العربات والبسطيات والسيارات لها ، ومع مرور الأيام بدأنا نعتاد على هذا المكان الجديد وفضلناه على الأماكن القديمة التي امتنعنا عن الذهاب إليها من جديد حتى بعد تحسن الوضع الأمني وافتتاح الجسور والشوارع مرة أخرى...

اما جاره صاحب العربة الملاصقة له (بسام حسين جاسم) والتي تنوعت بأصناف مختلفة من الفاكهة بعضها محلي قادم من شمالي وجنوبي العراق ، والبعض الآخر مستورد من خارجه فقد أضاف:

-رغم الإزعاجات والمشاكل التي تعرضت لها المنطقة وسكانها من جراء افتتاح هذه السوق في هذا الموقع غير المناسب لها ، إلا أننا لدينا أسبابنا الخاصة التي دفعت بنا إلى القدوم هنا ، فبضاعتنا التي تكلفنا الكثير من مصاريف وأجور النقل فضلاً عن أسعار شرائها المرتفعة ، وكذلك بذل الجهد البدني والإرهاق النفسي وتحمل المشاق والمخاطر في ظل ظروف أمنية غير طبيعية وغير مشجعة حتى على العمل والخروج فجراً إلى الحقول والبساتين والعلوات لشراء وجلب الخضر والفواكه ، ألجأتنا إلى اختيار هذه المنطقة لبيع سلعتنا لأنها أكثر أمناً من أية منطقة أخرى ، كما أن الموقع قريب من جميع أحياء ومناطق المدينة ويعوض عن المناطق الأصلية التي كنا نبيع فيها سابقاً قبل تدهور الأمور في المدينة ، واعتقد بان هذه السوق لاقت إقبالاً وترحيباً كبيراً من قبل اغلب المواطنين ، وهذا ما نلمسه من خلال كثرة المتبضعين والمتسوقين الذين يأتون إلى السوق بشكل يومي ، لاسيما ان الأسعار مقبولة والبضاعة بنوعية جيدة.

نريد بقاء السوق !

في زاوية الشارع المرتبط بتقاطعات جسر الموصل الخامس ينتصب بناء اكبر جامع في المدينة وهو بناء قيد الإنشاء أطلق عليه حديثاً جامع الشهيد أسامة الكشمولة محافظ نينوى السابق الذي اغتيل قبل عدة اشهر .. وغير بعيد من بناء الجامع وقريب من عربات السوق تجمعت هناك سيارات حمل مختلفة الأحجام ، صغيرة ومتوسطة تعرض للبيع حمولتها من خيرات ريف مدينة الموصل بدلا من ساحاتها الطبيعية في العلوات والأسواق الرسمية...

(عبد العزيز خلق) سائق إحدى هذه السيارات واحد الفلاحين قال :

-قبل ان تتأزم الأوضاع وتغلق الجسور كنا نحمل بضاعتنا في صباح كل يوم إلى علوات بيع وشراء الخضر ولاسيما تلك الواقعة في منطقة اليرموك في الجانب الأخر من المدينة ، وبعد الأحداث وبسبب قلة الأمن جئنا هنا لبيع هذه المواد وبالجملة اذ كانت السوق تقتصر على بيع الخضر والفواكه وبأسعار الجملة وهي محملة في السيارات حتى أطلق عليها تسمية سوق الجملة ، ثم اتسعت بعد توافد أصحاب العربات والبسطيات لتأخذ وضعها الحالي وهي رغم كونها سوقاً غير رسمية ألا ان الكثيرين شجعوا بقاءها واستمرارها سواء من الفلاحين وتجار الخضرة أو الباعة الصغار أو المواطنين المستفيدين.

المواطن (سالم عبد الخالق) أكمل شراء احتياجاته من السوق ويهم بالمغادرة ان عائلته تنتظر عودته في السيارة التي أوقفها في احد الشوارع الفرعية القريبة ، فاستوقفناه لنسأله رأيه بالسوق الجديدة فقال :

-إنني أتسوق في كل يوم من هذه السوق وارى انها ضرورية لحاجة المنطقة إليها ، فقد كنا في السابق نتجشم عناء الذهاب لمسافات بعيدة وأحياناً نعبر الجسر إلى الطرف الأخر من اجل شراء احتياجاتنا من الخضر والفواكه ، والآن وبعد افتتاح هذه السوق نحن في غاية الارتياح لأنها وفرت لنا الشيء الكثير من الجهد والوقت فضلاً عن أسعارها التي لا بأس بها ، ونتمنى من المسؤولين العمل على توسيع هذه السوق وتطويرها وتهيئة جميع نواقصها من ساحات مبلطة وأكشاك ومحال ومراقبين وعمال نظافة وغير ذلك ...

-وفي الطريق إلى بلدية الموصل للاستفسار من المسؤولين هناك عن موقفهم من السوق، قال لنا سائق التاكسي الذي أقلنا بان وجود هذه السوق شوكة في خاصرة أجمل أحياء الموصل فقد حول شارعه الرئيسي إلى فوضى عارمة أفرزت سلبيات كثيرة مقارنة بالايجابيات ، كما أن أسعار موادها مرتفعة وتجارية قياساً ببقية الاسواق والسائق يرى ان السوق غير ضرورية هنا حيث بامكان المواطن شراء ما يريده من أسواق أخرى قريبة وبأسعار متهاودة.

حل وسط للمشكلة ...

المواطن (ابو محمد) صاحب إحدى الدور المطلة على الشارع الرئيسي في حي المهندسين ، التي تناثرت العربات في الجزرة الوسطية المقابلة لها ، قال مرحباً بعد ان طرقنا بابه وعرفناه بمهمتنا الصحفية :

-لقد تسبب تجمع العربات والسيارات والبسطيات والمواطنين المتبضعين وعابري السبيل في حينا السكني هذا بالعديد من الإزعاجات ، فضلاً عن الازدحامات والاختناقات المرورية الكبيرة في الشارع التي لم نشهدها سابقاً بسبب وقوف الباعة بشكل عشوائي وغير منتظم ، ناهيك عن المشاكل المصاحبة لهذه الازدحامات من قبيل المشاحنات والمشاجرات التي تحدث بين الناس ، وكذلك السرقات والجرائم التي تشكل الفوضى وسطاً جيداً يستغله ضعاف النفوس لتنفيذها ، إضافة إلى النفايات والأوساخ وبقايا الخضروات التالفة التي يخلفها الباعة ولاسيما بعد انفضاض السوق مع عدم وجود سيارات وعمال نقل النفايات والقمامة بشكل مستمر ، وكل هذه السلبيات أضفت على الحي الراقي مظهراً غير حضاري افقده جماليته وحداثته المعروفة به.

-وهل تطالب بإخلاء الشارع من الباعة؟

-بالرغم من كل هذه المضايقات التي يعانيها أهل المنطقة ، إلا أننا لا نريد إيقاع الضرر بهؤلاء المواطنين البسطاء (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق) ، إلا أننا نرجو من المسؤولين والدوائر ذات العلاقة إيجاد حل بديل بإنشاء وتنفيذ مشروع سوق جديدة في المنطقة بتهيئة ساحة جانبية نظامية يقف ويتوزع الباعة في داخلها بشكل منظم وبعيد عن العشوائية والفوضى ، وان لا يؤثر هذا المشروع في تنظيم وسير المرور في الشارع والتقاطعات المرتبطة به ، مع تهيئة مراقبين من البلدية وكذلك عمال وسيارات جمع القمامة ، بشكل يومي ، وعند اتخاذ كل هذه الإجراءات فلن يكون هناك طرف متضرر ، بل على العكس ستكون لها مردوداتها الايجابية التي ستعم على الجميع .. واضاف: حسب معلوماتي اتفق عدد من الباعة على الانتظام في ساحة جانبية واسعة في الحي لكنها غير مبلطة ، وهذا السبب لم يشجع الباعة والمتسوقين، على حد سواء، على استخدامها لأنها تتحول إلى بركة من المياه والأوحال عند تساقط الأمطار مما يعيق الحركة ، فضلاً عن بعدها النسبي عن الشارع العام.

رأي بلدية الموصل ...

الأستاذ (عامر اللمعة) مسؤول قسم الخدمات في مديرية بلدية الموصل قال: بعد أن سألناه عن سوق حي المهندسين الجديدة :

-السوق غير رسمية ، والمحال والعربات والباعة الموجودين فيها جميعهم غير مرخصين ، وكل المواطنين في المدينة يعلمون أسباب نشوئها غير الطبيعية والمتعلقة بالخلل الأمني الحاصل ، يضاف إلى ذلك ضعف أداء أجهزة الدولة المختلفة ولاسيما الرقابية منها والمرتبطة بأوضاع الاحتلال وأوضاع البلاد السياسية ، ولكن بإذن الله سيتم تجاوز هذه المشكلة وغيرها من المشاكل والمعوقات الأخرى ، خاصة ان الموصل تشهد تحسناً ملحوظاً في الوضع الأمني الذي بدأ يترسخ ويتوطد في عموم المحافظة ..

وعن الإجراءات التي اتخذتها بلدية الموصل بشأن ظاهرة التسوق الطارئة هذه أضاف مدير خدماتها :

-من الخطوات والإجراءات التي اتبعت بهذا الخصوص توجيه إنذار وتنبيه إلى جميع أصحاب العربات والبسطيات وبقية الباعة الآخرين بمغادرة هذا الشارع وعدم ارتياده بهدف البيع والشراء وألا سيعرضون أنفسهم إلى مخالفات يعاقب عليها القانون ، وبامكانهم العودة إلى محالهم القديمة ، أو الانتقال إلى أسواق رسمية أخرى قريبة من هذا الحي والعمل فيها ، لأن هذا المكان غير مناسب وغير صالح لنشوء مثل هذا السوق والتي هي بالأصل مؤقتة ويجب ان تزال بزوال الأسباب التي دعت إلى وجودها وهي استقرار الأمن الذي ينشده جميع المواطنين..